الحمد لله الرحيم الرحمن ، خلق الإنسان علمه البيان ، والصلاة والسلام على خير الأنام ، نبينا محمد وآله ومن تبعهم بإحسان . وبعد :

فانطلاقاً من أهمية قضية "حقوق الإنسان" ، خاصة في ظل الأوضاع التي تعيشها البشرية اليوم ، ولما هو واقع من سوء استغلال لهذه القضية من قبل دول الغرب ، ونظراً لأن منطلق كثير من المبادئ والقوانين المتعلقة بها ، هي من نتاج الفكر الغربي وقيمه المادية ، المبتورة الصلة بالقيم الروحية والأخلاقية ، فقد رأيت أن أبحث العلاقة الوثيقة بين "الأخلاق" و "حقوق الإنسان" في منهج القرآن ، ذلك أن كثيراً من الدراسات المعاصرة لهذه القضية الحساسة -فيما اطلعت عليه- ضعيفة الصلة بآيات القرآن .

فحاولت تسديد خلل -في نظري- تجاه هذه المسألة الخطيرة ، فانطلقت في هذا البحث من آيات القرآن الكريم فجمعت منها ما يتعلق بالمنهج الأخلاقي من جهة، وما يتعلق بحقوق الإنسان من جهة أخرى ، ثم تأملت معانيها ، مستعيناً بعد الله بأشهر كتب التفسير المعتمدة ، فحللت الآيات وصنفتها موضوعيا ، واستنبطت منها الفوائد والنتائج التي ضمّنتها هذا البحث المتواضع ، واخترت من السنة النبوية ما احتجت إليه من أحاديث مكملة لنصوص القرآن الكريم ، كما اطلعت على بعض الوثائق الدولية المعنية بحقوق الإنسان ، لبيان الفارق بين منهج القرآن وغيره ، وقد توصلت من خلال دراستي لهذه القضية إلى أمور ، منها :

أن القرآن الكريم قد عُني عناية خاصة متميزة بالجانب الأخلاقي ، وله في ذلك منهج أصيل ، يرتبط ارتباطاً وثيقاً بجوانب أخرى من الدين ، كجانب العقيدة والعبادة والمعاملة والعلاقات الأسرية والإجتماعية والدولية ونحوها ، إضافة إلى ارتباطه بمقاصد الشريعة عموماً وبحفظ الضرورات الخمس خصوصاً ، وهذا المنهج الأخلاقي له خصائص ومعالم عديدة منها : الربانية والشمول والوسطية ، والثبات واليسر والواقعية ، وترتب الجزاء الدنيوي والأخروي عليه ، ونحو ذلك .

- أن القرآن الكريم أصّل قضية حقوق الإنسان تأصيلاً شرعياً متكاملاً ، فقد كرم الله الإنسان وميزه ، ومنحه من الحقوق المفروضة له شرعاً ، الواجبة حكماً، المحاطة بمختلف أنواع الحماية والضمانات من الإعتداء والإنتهاك ، مما لم يوجد في منهج أو قانون غير منهج القرآن .

- ولقد تبين بجلاء أن هناك تلازماً كبيراً ، وارتباطاً وثيقاً ، وعلاقة حميمة بين المنهج الأخلاقي وحقوق الإنسان في القرآن الكريم ، من حيث المفهوم والتأصيل، والخصائص والمزايا ، مع أن الموثر الأكبر في جانب الأخلاق: هو السجية والطبع، وفي جانب الحقوق : هو الوجوب والإلزام .

- وقد كشفت هذه الدراسة عن الأثر الكبير للمنهج الأخلاقي القرآني ، في اعتبار وتقدير واحترام حقوق الإنسان التي جاءت في القرآن ، ذلك أن هناك صنفاً واجباً من الأخلاق ، يحقق الغاية نفسها التي تضمنها حقوق الإنسان ، إضافة إلى أن ذلك المنهج الأخلاقي الفريد يضبط سلوك الفرد ويقوّمه ويصلحه ، كما أنه يحفظ تماسك المجتمع المسلم ، ويتعدى أثره إلى الحقوق الدولية الخارجية، وهذا دعم لذلك التقدير والاحترام لحقوق الإنسان .

- وزيادة في البيان ، وتحقيقاً للاطمئنان(١)، فقد أتممت الدراسة ، بوقفة مع الانحراف الأخلاقي الهائل الذي يعيشه الغرب اليوم ، في ظل قوانين ومبادئ "حقوق الإنسان" التي وضعها الإنسان ، والتي أهملت الجانب الأخلاقي من أصله، فأنتجت ذلك الانحراف والفساد والشقاء والضياع ، ولا منقذ للبشرية من تلك الهاوية ولا خلاص لها إلا بمنهج القرآن .

هذا والله أعلم ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم ..

I

الحمد لله الرحمن ، خلق الإنسان ، علمه البيان ، وشرّف هذه الأمة ببعثة سيد الأنام ، نبينا محمد بن عبدالله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد :

فإن قضية "حقوق الإنسان" ، أشغلت العالم اليوم بجميع أممه ودوله ولا تزال ، وهي قضية كبرى ، ومسألة عظمى ، جديرة بالبحث والدراسة والعناية والرعاية ، من وجهة النظر الشرعية الإسلامية ، ذلك أن تسلط العالم الغربي واستبداده ، وفرض هيمنته الفكرية والإعلامية على كثير من دول العالم ، وبخاصة العالم العربي والإسلامي ، أدى إلى ضياع المفهوم الإسلامي لهذه القضية وغيرها ، وأوجد انطباعاً لدى كثير من المسلمين بأنه لا طريق لنيل الحقوق إلا من خلال التبعية المقيتة لذلك العالم الغربي ، والدخول طوعاً أو كرهاً ضمن أحلافه ومنظوماته ، وتحمّل أصناف الذل والمهانة ، من أجل الحصول على هذه الحقوق .

ومن جهة أخرى فإن مبادئ "حقوق الإنسان" السائدة في العالم ، قد أعدَّها وصاغها ساسة العالم الغربي ، فهي من نتاج ثقافته وأفكاره ، التي تقوم على أساس الحرية المطلقة -غير المنضبطة- في جميع ميادين الحياة ، والتي قد أوجدت هوّة واسعة بين "حقوق الإنسان" المشروعة ، وبين الأخلاق الفاضلة ، والقيم الرفيعة ، التي لا يستغني عنها مجتمع أو أمة ، كما يظهر ذلك من خلال "الإعلان العالمي لحقوق الإنسان" وغيره من المعاهدات والوثائق المتعلقة بهذا الموضوع .

ونظراً لما تقدم ذكره ، فقد سبق وأن تقدمت بورقة عمل إلى مؤتمر

:(حقوق الإنسان في السلم والحرب) الذي تنظمه جمعية الهلال الأحمر السعودي ، وجعلت عنوانها :(حقوق الإنسان: مفهومه وتطبيقاته في القرآن الكريم) ، وإتماماً لدراسة هذا الموضوع المهم ، وتأصيلاً لمفاهيمه الواسعة وقضاياه الأساسية، وتوضيحاً للمنهج الأخلاقي في القرآن الكريم ، وبياناً لعلاقته الوثيقة بقضية حقوق الإنسان ، وتأكيداً على الأثر العملي التطبيقي للمنهج الأخلاقي في احترام وضبط "حقوق الإنسان" ، فقد رأيت أن أستكمل دراسة الموضوع من خلال بحث آخر ، وقد اخترت أن يكون عنوانه :

(المنهج الأخلاقي وحقوق الإنسان في القرآن الكريم) ،

وسوف تتضمن خطته -بعد المقدمة هذه- ما يلي :

تمهيد : ويشمل :

- أهداف الدراسة .

- أسباب اختيار الموضوع .

- منهج الدراسة .

المبحث الأول :

المنهج الأخلاقي في القرآن الكريم :

المطلب الأول: مفهوم الأخلاق وإطلاقاته في القرآن .

المطلب الثاني: تأصيل المنهج الأخلاقي في القرآن .

المطلب الثالث: خصائص المنهج الأخلاقي في القرآن .

المبحث الثاني :

حقوق الإنسان في القرآن الكريم :

المطلب الأول: مفهوم "حقوق الإنسان" في القرآن .

المطلب الثاني: تأصيل "حقوق الإنسان" في القرآن .

المطلب الثالث: خصائص "حقوق الإنسان" في القرآن .

المبحث الثالث :

العلاقة بين المنهج الأخلاقي وحقوق الإنسان في القرآن الكريم :

المطلب الأول: مقارنة بين المنهج الأخلاقي وحقوق الإنسان في القرآن .

المطلب الثاني: أثر تطبيق المنهج الأخلاقي في القرآن في احترام "حقوق الإنسان" .

المطلب الثالث: العلاقة بين الانحراف الخلقي ومبادئ "حقوق الإنسان" في القانون الدولي .

وأخيراً: أهم النتائج والتوصيات ، ثم قائمة المراجع والمصادر . والله الموفق .

إن دراسة قضية حقوق الإنسان وعلاقتها بالمنهج الأخلاقي في ضوء القرآن الكريم مهمة للغاية ، ويمكن من خلال جمع آيات القرآن المتعلقة بهذا الموضوع وتحليلها أن نحقق الأهداف الآتية :

١) تأصيل مفاهيم ومبادئ "حقوق الإنسان" تأصيلاً شرعياً ، ضمن منهج القرآن وبيان خصائصه في الإسلام .

٢) تأصيل المنهج الأخلاقي في القرآن الكريم وبيان خصائصه .

٣) إبراز العلاقة بين المنهج الأخلاقي ومبادئ حقوق الإنسان في ضوء القرآن .

٤) بيان الأثر العملي التطبيقي للمنهج الأخلاقي القرآني في ضبط واحترام "حقوق الإنسان" .

٥) بيان أثر إهمال الجانب الأخلاقي في القوانين الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان .

ثانياً : أسباب اختيار الموضوع : وتتخلص في الآتي :

١) قوة الطرح الغربي لهذه القضية ، مع سوء استغلالها إعلامياً وعسكرياً واقتصادياً وغيره .

٢) ندرة وضعف الطرح الإسلامي المؤصل بمنهج القرآن الكريم ، وتأثر كثير من الدراسات الإسلامية بالطرح الغربي وثقافاته .

٣) وجود مادة علمية شرعية غزيرة ضمن نصوص الكتاب والسنة ، فيما يتعلق بالجانب الأخلاقي وجانب حقوق الإنسان .

٤) حاجة البشرية إلى المنهج القويم في ضبط العلاقات الإنسانية وتهذيبها ، ولن تجد أفضل ولا أكمل من منهج القرآن ، قال تعالى :(إن هذا القرآن يهدي للتي هي

أقوم ((٢) .

ثالثاً: منهج الدراسة : ويتلخص في الآتي :

١) جمعت الآيات القرآنية المتعلقة بحقوق الإنسان أو بالأخلاق عموماً .

٢) صنفت هذه الآيات تصنيفاً موضوعياً بما يناسب مباحث الدراسة .

٣) راجعت تفسير الآيات في أهم كتب التفاسير المعتمدة لفهمها على وجهها الصحيح .

٤) حللت الآيات وربطت بينها ، واستنبطت منها النتائج المتعلقة بمباحث الدراسة .

٥) أوردت بعض ما يحتاجه البحث من الأحاديث النبوية الصحيحة مع تخريجها بما يناسب الحال .

٦) اطلعت على أهم مواثيق ومعاهدات القوانين الدولية وغيرها المتعلقة بالموضوع مثل "الإعلان العالمي لحقوق الإنسان" ، و "إعلان القاهرة لحقوق الإنسان في الإسلام" ونحوهما ، وذلك للمقارنة المختصرة بين منهج القرآن وغيره في هذه القضية .

٧) حرصت أن يكون منطلق الدراسة هو الآيات القرآنية ، غير متأثر بالكتابات الأخرى ، التي تأثرت بالطرح الغربي أو الطرح الإسلامي المنهزم ، مستعيناً ببعض ما جاء في السنة النبوية .

٨) سطرت ما توصلت إليه من نتائج ضمن مباحث الدراسة ، ولخصت أهمها في خاتمة البحث .

٩) لم أترجم لكثير من الأسماء الواردة في ثنايا البحث لشهرة أصحابها ، خاصة من الصحابة وأئمة السلف ، أما المصنفون فقد اكتفيت بذكرهم ضمن قائمة المراجع والمصادر في نهاية البحث .

المبحث الأول :

المنهج الأخلاقي في القرآن الكريم

المطلب الأول: مفهوم الأخلاق وإطلاقاته في القرآن :

أولاً: تعريف "الأخلاق" لغة :

"الأخلاق" في اللغة جمع خُلُق ، والخُلُق: هو السجية والطبع ، مأخوذ من مادة :(خ ل ق) وقد جاء في معناها: قال الجوهري :(الخَلْق : التقدير ، ... ، والخَلِيقَة : الطبيعة ، ... ، والخِلْقة بالكسر : الفطرة ، ... ، والخُلْق والخُلُق : السجيّة)(٣) اهـ .

وقال ابن منظور :(الخُلُق هو الدين والطبع والسجية ، وحقيقته : أن صورة الإنسان الباطنة -وهي نفسه- وأوصافها ومعانيها المختصة بها ، بمنزلة الخُلُق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها)(٤) اهـ .

وقال الفيروز آبادي :("الخَلْق" التقدير ... ، والخُلْق بالضم وبضمتين : السجية والطبع والمروءة والدين)(٥) اهـ .

إذاً فأصل مادة (خلق) تدل على تقدير الشيء ، يقول ابن فارس :(ومن هذا المعنى الخُلُق ، وهو السجية لأن صاحبَه قد قُدِّر عليه ... ، والخَلاق: النصيب لأنه قد قدّر لكل أحد نصيبه)(٦) اهـ .

وذكر الراغب الأصفهاني : أن الخَلْق أصله: التقدير المستقيم ، وأن الخَلْق والخُلْق والخُلُق في الأصل واحد ، لكن خُصَّ الخَلْق بالهيئات والأشكال والصُّور المدرَكة بالبصر ، وخُصّ الخُلُق بالقُوى والسَّجايا المدرَكة بالبصيرة ، قال: والخَلْق لا يستعمل في كافة الناس إلا على وجهين : أحدهما في معنى التقدير ، والثاني في الكذب(٧) .

قال الفيومي :(وأصل الخلق : التقدير ، يقال: خلقت الأديم للسقاء إذا قدرته له، خلق الرجل القول خلقاً افتراه واختلقه)(٨) اهـ .

قال القرطبي :(وحقيقة الخُلُق في اللغة: هو ما يأخذ به الإنسان نفسه من الأدب، يسمى خُلُقاً ، لأنه يصير كالخِلْقة فيه)(٩) اهـ ، وكذا قال الماوردي(١٠) .

ومما يرادف لفظ (الخُلق) أو يقاربه في المعنى :

أ) الخِيم : بالكسر ، وهو السجية والطبيعة ، لا واحد له من لفظه(١١) .

ب) الملأ : بفتح الميم واللام وآخره همز ، وهو الخُلُق والعشرة ، يقال: ما أحسن ملأ فلان أي خُلُقه وعشرته(١٢). ومنه حديث :(أحسنوا الملأ كلّكم سَيَروَى)(١٣) .

ثانياً: تعريف الأخلاق اصطلاحاً :

- ذهب الجاحظ إلى أن :(الخُلُق هو حال النفس ، بها يفعل الإنسان أفعاله بلا روية ولا اختيار ، والخلق قد يكون في بعض الناس غريزة وطبعاً ، وفي بعضهم لا يكون إلا بالرياضة والاجتهاد ، كالسخاء قد يوجد في كثير من الناس من غير رياضة ولا تعمل ، وكالشجاعة والحلم والعفة والعدل وغير ذلك من الأخلاق المحمودة)(١٤) اهـ .

- وقال الماوردي :(الأخلاق: غرائز كامنة ، تظهر بالاختيار ، وتقهر بالاضطرار)(١٥) .

- وقد فصل القول في معناه الغزالي فقال :(.. فالخُلُق عبارة عن هيئته في النفس راسخة ، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية ، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً ، سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً ، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة ، سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً ، وإنما قلنا إنها هيئة راسخة ، لأن من يصدر منه بذل المال على الندور لحاجة عارضة ، لا يقال خُلُقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ . وإنما اشترطنا أن تصدر منه الأفعال بسهولة من غير روية ، لأن من تكلف بذل المال أو السكوت عند الغضب بجهد وروية ، لا يقال خلقه السخاء والحلم)(١٦) اهـ . وكذا قال الجرجاني وربما نقله عن الغزالي(١٧) .

وقال ابن القيم :(قال صاحب "المنازل" : الخلق: ما يرجع إليه المتكلف من

نعته)(١٨) اهـ . وقال في موضع آخر :[الخلق هيئة مركبة من علوم صادقة ، وإرادات زاكية ، وأعمال ظاهرة وباطنة ، موافقة للعدل والحكمة والمصلحة ، وأقوال مطابقة للحق ، والأعمال عن تلك العلوم والإرادات ، فتكتسب النفس بها أخلاقاً ، هي أزكى الأخلاق وأشرفها وأفضلها](١٩) اهـ .

- وقال ابن عاشور :(الخلق : السجية المتمكنة في النفس ، باعثة على عمل يناسبها من خير أو شر ، وتشمل طبائع الخير وطبائع الشر ، ولذلك لا يعرف أحد النوعين من اللفظ إلا بقيد يضم إليه ، فيقال: خلق حسن ، وفي ضدّه : خلق قبيح ، فإذا أطلق عن التقييد انصرف إلى الخلُق الحسن)(٢٠) اهـ .

- وقد حاول بعض المعاصرين تلخيص وتسهيل العبارة في تعريف الأخلاق اصطلاحاً ، فقال :(الخلق: صفة مستقرة في النفس فطرية أو مكتسبة ، ذات آثار في السلوك محمودة أو مذمومة)(٢١) .

- وحيث إن موضوع البحث يتعلق "بالمنهج الأخلاقي" ، والمقصود به "علم الأخلاق" بمعناه الشامل الواسع ، وقد عرف قديماً بأنه :(علم يعرف به حال النفس ، من حيث ما هيتها وطبيعتها وعلة وجودها وفائدتها ، وما هي وظيفتها التي تؤديها ، وما الفائدة من وجودها ، وعن سجاياها وأميالها وما ينقلها بسبب التعاليم عن الحياة الفطرية)(٢٢) .

وعرفه بعض المعاصرين بأنه :(مجموعة المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني التي يحددها الوحي لتنظيم حياة الإنسان وتحديد علاقته بغيره على نحو تحقيق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه)(٢٣) .

وعرفه بعضهم بأنه : علم التعرف على الحقوق والواجبات(٢٤) .

ومن خلال ما سبق يمكن القول بأن المنهج الأخلاقي في الإسلام هو :(مجموعة الصفات والقواعد الواردة في النصوص الشرعية ، التي تنظم حياة الإنسان من حيث علاقته بغيره) .

أي أنه يتضمن :

١) نصوصاً شرعية: وهي آيات القرآن وأحاديث النبي (وسيرته .

٢) مجموعة صفات وقواعد تتضمنها هذه النصوص .

٣) تنظيم علاقة الإنسان بغيره من خلال هذه القواعد .

ثالثاً: إطلاقات "الأخلاق" في القرآن :

وردت مادة (خلق) في القرآن الكريم في (٢٦٠) موضعاً(٢٥)، وأطلق على معانٍ عدة منها:

أ) الإيجاد من العدم : كقوله تعالى :(خلق السموات والأرض ((٢٦)، وهذا النوع من الخلق الذي هو الإبداع ، لم يجعله الله إلا لنفسه(٢٧) .

ب) إيجاد الشيء من الشيء : كقوله تعالى :(خلق الإنسان من نطفة ((٢٨)، وهذا النوع قد جعل الله شيئاً منه لغيره في بعض الأحوال ، كعيسى -(- حيث قال تعالى :(وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني ((٢٩).

ج) التقدير : وهو أصل المعنى اللغوي ، ومنه قوله تعالى :(فتبارك الله أحسن الخالقين ((٣٠)، أي: أحسن المقدرين ، عهـ) السجية والطبع : وهو المعنى المتعلق بموضوع البحث ، ومثاله قوله تعالى

:(وإنك لعلى خلق عظيم ((٣٤).

و) النصيب : ومنه قوله تعالى :(ما له في الآخرة من خلاق ((٣٥).

ز) الدِّين والعادة : ومنه قوله تعالى :(إن هذا إلا خلق الأولين ((٣٦)، أي دينهم وعادتهم كما رجّحه الطبري .

المطلب الثاني : تأصيل المنهج الأخلاقي في القرآن :

لقد تقدم بيان المقصود بالمنهج الأخلاقي وما يتضمنه هذا المصطلح من معان ، وتطبيقاً لذلك المعنى على ما ورد في القرآن الكريم ، نجد أن هناك نصوصاً قرآنية كثيرة ، تضمنت ذكر صفات مهمة وقواعد ومبادئ أساسية ، تهدف إلى تنظيم حياة الإنسان من حيث علاقته بغيره ، كما تبين هذه النصوص ارتباط المنهج الأخلاقي بالعقيدة والعبادة والمعاملات وغيرها ، وتشمل أيضاً أنواع الأخلاق وبيان آثارها العملية ، ونحو ذلك ، وكل هذا تأصيل لهذا المنهج الأخلاقي المتكامل ، ويمكن تفصيل شيء من ذلك على النحو الآتي :

أولاً: الآيات الجامعة لمكارم الأخلاق :

وردت في عدة مواضع من القرآن الكريم آيات جوامع ، تضمنت في كل موضع منها بعضاً من المبادئ والصفات والقواعد المكوِّنة للمنهج الأخلاقي في القرآن ، من ذلك :

١) مقدمة سورة "المؤمنون" وهي قوله تعالى :(قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ؟ والذين هم عن اللغو معرضون ؟ والذين هم للزكاة فاعلون ؟ والذين هم لفروجهم حافظون ؟ إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ؟ فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ؟ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ؟ والذين هم على صلواتهم يحافظون ؟ أولئك هم الوارثون ؟ الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ؟ ((٣٧).لى قولٍ فيها(٣١) .

٢) فهذه الآيات تشمل صفات عديدة ، تؤسس قواعدَ ومبادئ تنظم علاقة الإنسان بغيره ، لتشكّل في مجملها "المنهج الأخلاقي في القرآن" إذا جمعت مع مثيلاتها ، وقد راعت الجوانب المختلفة من حياة الإنسان : فتضمنت في الناحية التعبدية المحضة : إقامة الصلاة وإتمامها والمحافظة عليها ، مع الخشوع فيها الذي يشمل: التواضع والخوف والتذلل ، ومع أن الصلاة علاقة بين العبد وربه ، لكن أداؤها على الوجه الذي شرعه الله بخشوعها وأركانها وشروطها وواجباتها وسننها وآدابها ، يحقق قيماً أخلاقية عظمى : فهي تمنع صاحبها عن فعل الفواحش وتكفُّه عن المنكرات ، قال تعالى :(إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ((٣٨)، كما أن أداءها في الجماعة ، يحقق إحياء روح الأخوة الإسلامية ، والالتزام بوقتها يغرس في النفس الحرص على الوقت والدقة في المواعيد ، ونحو ذلك من الصفات الخلقية الحميدة(٣٩) .

٣) - وتضمنت الآيات أداء الزكاة ، وهي عبادة عملية ، لكن لها علاقة بالجانب الاجتماعي والمالي من جهة الإحسان إلى الفقراء والمساكين ، وسد حاجات المعوزين ، وبالجانب الأخلاقي لما فيها تزكية النفس من أدناس الأخلاق ومساوئ الأعمال(٤٠)، قال تعالى :(خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ((٤١) إضافة إلى التربية على جملة من المكارم : كالإحسان والبذل والبر والإنفاق والرحمة والمودة والأخوة ، ونبذ الشح والبخل والتقتير ونحوه .

٤) ومما تضمنته الآيات أيضاً في الجانب الاجتماعي لتنظيم علاقات الناس : أداء الأمانات ، وحفظ العهود والوفاء بالوعود ، وفي الجانب الشخصي : الإعراض عن اللغو بجميع صوره ، والمحافظة على العفاف بحفظ الفروج ونحوه .

٥)) ومن الآيات المشابهة أيضاً: ما جاء في صفات عباد الرحمن في آخر سورة الفرقان ، قال تعالى :(وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ؟ والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً ؟ والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما ؟ إنها ساءت مستقراً ومقاما ؟ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ؟ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً ؟ يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً ؟ إلا من تاب وءامن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً ؟ ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً ؟ والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً ؟ ((٤٢) الآيات .

٦) فهذه الآيات تذكر جملة من الصفات والمبادئ الأخلاقية ، التي تنظم علاقة المسلم بغيره ، منها(٤٣): وصفهم بالوقار والسكينة والتواضع لله ولعباده ؛ أخذاً من قوله :(الذين يمشون على الأرض هوناً (، ومنها: وصفهم بالحلم والصبر ومقابلة المسيء بالإحسان ، والعفو عن الجاهل ، ورزانة العقل ؛ أخذاً من قوله :(وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً (، ومنها: العدل والقصد والتوازن

٧) :(.. وكان بين ذلك قواماً (، ومنها: حفظ النفوس والأعراض مع العفاف :(ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون (، ومنها: اجتناب كل موقع ومجلس مشتمل على قول أو فعل محرم ، كالغيبة والنميمة والكذب والجدال بالباطل والسب والقذف والاستهزاء وشرب الخمر وشهادة الزور ، وغير ذلك :(والذين لا يشهدون الزور (وإذا كانوا لا يشهدون الزور ، فمن باب أولى ، أن لا يقولوه ولا يفعلوه ابتداءً ، بل إنهم ينزهون أنفسهم ويكرمونها عن الخوض في اللغو الذي لا إثم فيه أيضاً ، لما فيه من سفهٍ ونقص للإنسانية وضعف في المروءة :(وإذا مروا باللغو مروا كراماً (.

٨) - إنه منهج أخلاقي عجيب متكامل ، تسطره هذه النصوص القرآنية المباركة ، لتوصل تلك المبادئ والقواعد الأصيلة .

٩) ٣) ومن الآيات التي تضمنت بعض تلك المعاني والصفات ، قوله تعالى :(إن الإنسان خلق هلوعاً ؟ إذا مسه الشر جزوعاً ؟ وإذا مسه الخير منوعاً ؟ إلا المصلين ؟ الذين هم على صلاتهم دائمون ؟ والذين في أموالهم حق معلوم ؟ للسائل والمحروم ؟ والذين يصدقون بيوم الدين ؟ والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ؟ إن عذاب ربهم غير مأمون ؟ والذين هم لفروجهم حافظون ؟ إلا على

أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ؟ فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ؟ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ؟ والذين هم بشهاداتهم قائمون ؟ والذين هم على صلاتهم يحافظون ؟ أولئك في جنات مكرمون ؟ ((٤٤).

١٠)- ولا حاجة لإعادة التعليقات عليها ، فقد اشتملت على مجمل الصفات المذكورة سابقاً .

١١)* وهناك جملة من المواضع القرآنية المشابهة لما ذكر ، لا داعي لسردها ، ولكن أشير إلى بعضها باختصار ، فمنها :

١٢)٤) قوله تعالى :(ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر .... ((٤٥) الآية .

إلى غير ذلك من الآيات الجامعة ، إضافة إلى الآيات المفردة في ذكر خلق معين أو مبدأ أو قاعدة أخلاقية ، وهي كثيرة جداً ، منها على سبيل المثال :

- آيات "الصبر" وقد تكرر بمعناه الاصطلاحي في أكثر من (٩٠) موضعاً(٤٧) .

- آيات "الإحسان" وقد ذكر بمعناه الخاص المتعلق بالآخرين وهو :(الإنعام على الغير)(٤٨) في (٦٧) موضعاً(٤٩) .

- ومثلها : آيات البر والعدل والصدق والعفو والجود والعفاف ونحوها(٥٠) .

ثانياً: آية "الخُلُق" بمعناه الاصطلاحي : وهي قوله تعالى :(وإنك لعلى خلق عظيم ((٥١) فهذه الآية الوحيدة التي جاء فيها لفظ (الخُلُق) بمعنى السجية أو الهيئة الراسخة في النفس ، التي تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر ، وهو تعريفه في اصطلاح العلماء كما تقدم .

وهي آية عظيمة بليغة ، تحمل شهادة وتزكية وتكريماً لخلق الرسول

-(- ، وتتضمن في طياتها هديه وسيرته وسمته وشمائله وصفاته ، أي تتضمن المنهج الأخلاقي المتكامل لهذا الدين القويم ، خاصة وأن هذا "الخُلُق العظيم" ؛ هو القرآن الكريم ، كما بينت ذلك أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، حين سئلت عن خلقه ، فأجابت :(كانت خلقه القرآن)(٥٢) .

إذاً فأخلاق النبي -(- كانت مقتبسة من مشكاة القرآن ، فكان كلامه مطابقاً للقرآن ، تفصيلاً له وتبييناً ، وعلومه علوم القرآن ، وإرادته وأعماله ما أوجبه وندب إليه القرآن ، وإعراضه وتركه لما منع من القرآن ، وكذا رغبته فيما رغب فيه ، وزهده فيما زهد فيه ، وكراهته لما كرهه ، ومحبته لما أحبه ، وسعيه في تنفيذ أوامره ، وتبليغه ، والجهاد في إقامته(٥٣) .

إذاً فهذه الآية وحدها تؤصل المنهج الأخلاقي في القرآن ، فكل خلق محمود جاء في القرآن ، فهو من الخلق العظيم الذي كان عليه النبي -(- ، والذي أكده بقوله :(إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق) ، وفي رواية :(مكارم الأخلاق)(٥٤) .

ثالثاً: ومن خلال الآيات السابقة وغيرها ، يتبين لنا مدى ارتباط المنهج الأخلاقي في القرآن ، بجانب العقيدة والعبادة والمعاملات ، والعلاقات الأسرية والاجتماعية والدولية ، والأحوال الشخصية وغيرها ، فالعنصر الأخلاقي سمة بارزة في جميع تلك الجوانب ، تقوم عليه أصولها التشريعية والتهذيبية على

السواء(٥٥) .

وأمثلة هذا في القرآن والسنة لا تحصر ، فكم آية قرنت بين التوحيد والإيمان من جهة ، وبين أنواع من الأخلاق من جهة أخرى ؛ كالإحسان قوله تعالى :(واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ... ((٥٦) الآية ، وكالبر في قوله :(ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن

السبيل ... ((٥٧) الآية .

- وهناك آيات وضحت الصلة بين العبادة والأخلاق ، كما تقدم في الكلام عن الصلاة والزكاة ، ومن ذلك أيضاً: ارتباط الصيام بالتقوى التي هي جماع الأخلاق الفاضلة (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ((٥٨)، ومثله في الحج وعلاقته بالتقوى وبيان أثر تجنب الأخلاق السيئة في قبول الحج ومغفرة الذنوب :(الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب ((٥٩) .

وهكذا سائر العبادات وكذا المعاملات والعلاقات ، ترتبط بالمنهج الأخلاقي في القرآن ، وتنطلق من قواعده وأسسه(٦٠) .

رابعاً: إن مما يؤصل المنهج الأخلاقي في القرآن الكريم ، ارتباطه بمقاصد الشريعة وبحفظ الضرورات الخمس التي اجتمعت الشرائع والرسالات عليها ، وهي "الدين والنفس والعقل والنسل والمال" . ذلك أن جميع الشرائع جاءت بمكارم الأخلاق ومحاسن العادات ، مع اختلافها في الفروع والأحكام كما قال تعالى :(لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ((٦١).

- وإذا تأملنا الآيات التي وردت في حفظ تلك الضرورات ، نجد أنها تحفظ أنواعاً من الخلق القويم ، وتحرم أخلاقاً مذمومة قبيحة ، كقوله تعالى :(قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ((٦٢) .

فتحريم الفواحش والنهي عن الإثم والبغي والظلم ، فيه حفظ لتلك الضرورات ، مع حفظ الأخلاق وصيانتها .

- ومما يؤكد هذا أيضاً ، أن أعظم ما جاءت الشرائع بحفظه هو الدين ، فقد أجمعت رسالات الله على الأمر بالتوحيد وتحريم الشرك ، قال تعالى :(ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)(٦٣) ، وهذا التوحيد مبني على أنواع من الأخلاق كالصدق في عبادة الله والعدل والإحسان والتقوى، ومرتبط أيضاً بتحريم الفحشاء والمنكر ، كما قال تعالى :(إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون ((٦٤) .

خامساً: إن مما يؤصل المنهج الأخلاقي في القرآن ، تنوع الأخلاق التي تضمها، فهي أصناف وأقسام ، وقبل بيان أنواع الأخلاق في القرآن ، أذكر تقسيماً عاماً لها دلت عليه السنة النبوية ، وهو قِسمتها إلى:

١) أخلاق جبلية : أي فُطر عليها الإنسان ، وخلقها الله فيه ، كما دل على ذلك حديث أشج عبدالقيس ، الذي قال له النبي (:(إن فيك خلتين يحبهما الله : الحِلْم والأناة) قال: يا رسول الله ، أنا أتخلق بهما أم الله جبلني عليهما ؟ قال :(بل الله جبلك عليهما) قال: الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما الله

ورسوله(٦٥) .

٢) أخلاق مكتسبة : يمكن تحصيلها بالتعلم والتعود عليها ، كما دل على ذلك قول النبي (:(إنما العلم بالتعلم ، وإنما الحلم بالتحلم)(٦٦) .

* أما مجمل الأخلاق الواردة في القرآن ، فيمكن تقسيمها إلى :

) أخلاق فردية (شخصية) : وهي الأخلاق المتعلقة بالفرد ، ونفعها لازم له ويعود عليه خاصة ، كالإخلاص والاستقامة والعفة والحلم والحياء والصدق والصبر والتواضع ، والآيات في هذه الأخلاق كثيرة معلومة .

٢) أخلاق جماعية ، (اجتماعية) : وهي المتعلقة بالآخرين ، ويتعدّى نفعها إليهم، كالوفاء بالعهد ، والإحسان إلى الوالدين ، والعطف على الفقراء ، والعفو عن المسيء ، وكظم الغيظ ، والأخوة ، والجود والكرم ، ونحوها .

- وكذلك فإن الآيات الدالة عليها كثيرة معلومة .

* وقد فصّل بعضهم في التقسيم ، فجعل الأخلاق خمسة أنواع(٦٧)، وهي :

١) الأخلاق الفردية : مثل: العفة والاستقامة والصدق ونحوها .

٢) الأخلاق الأسرية : مثل: الإحسان إلى الوالدين ، معاشرة الزوجة بالمعروف، صلة الرحم ، ونحوها .

٣) الأخلاق الاجتماعية : مثل: أداء الأمانة ، والوفاء بالوعد ، إصلاح ذات البين، الإحسان إلى الفقراء ، ونحوها .

٤) أخلاق الدولة : مثل: الشورى والعدالة والوفاء بالمعاهدات ونحوها .

٥) الأخلاق الدينية : مثل: طاعة الله وشكره ، والرضا بقضائه وقدره ، ومحبته والخوف منه ، والتوكل عليه ، ونحوها .

- وأدله هذه الأنواع في القرآن معروفة أيضاً ، وقد تقدم ذكر بعضها .

* والخلاصة: أن القرآن الكريم ، قد عني بتأصيل المنهج الأخلاقي ، من خلال تلك الآيات الجامعة لمكارم الأخلاق ، والآيات المفردة الخاصة ببعضها ، وارتباط الأخلاق القرآنية بالجوانب العقدية والعبادية والاجتماعية وغيرها ، إضافة إلى كثرة أقسامها وتعدد أنواعها .

تبين لنا مما تقدم أن الأخلاق في القرآن ، تمثل منهجاً متكاملاً ، له مميزاته وخصائصه التي يتفرد بها دون سائر المناهج والأنظمة والقوانين ، ذلك أن القرآن كلام الله تعالى ، الذي قال :(ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ((٦٨)، وغيره من المناهج والمبادئ كلام البشر ، الموصوفين بقول الله تعالى :(إنه كان ظلوماً جهولاً ((٦٩) .

ولذا فتتلخص خصائص المنهج الأخلاقي في القرآن فيما يلي(٧٠):

١) أن مصدره الوحي ، واستمداده من القرآن والسنة ، فهو محفوظ من كل نقص أو عيب أو خلل :(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)(٧١) .

٢) أنه شامل لجميع أنواع الأخلاق ، وجميع جوانب الحياة ، فهو مرتبط بجانب العقيدة والعبادة والمعاملات ونحوها -كما تقدم- ويصدِّق هذا قوله تعالى :(ما فرطنا في الكتاب من شيء ((٧٢).

٣) أنه عام لجميع البشر ، صالح لكل زمان ومكان ، ولكل فرد ومجتمع وأمة ، لأنه الدين الذي ارتضاه الله للعالمين ، قال تعالى :(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ((٧٣) . وقال :(تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ((٧٤) .

٤) أنه منهج وسطي ، فهو يراعى مصلحة الفرد والجماعة ، ويلبي حاجات الروح والجسد والعقل ، ويوازن بين طلب الآخرة وعمارة الأرض في الدنيا ، وهكذا ، دون تغليب لجانب على آخر ، وتصوّر هذه الوسطية آيات كثيرة من كتاب الله ، كقوله تعالى :(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ((٧٥)، وقوله تعالى :(ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً ((٧٦) .

) أنه منهج ثابت القيم ، أصيل المبادئ ، لا تتغير قواعده المنهجية ، ولا تقبل التبديل أو الاجتهاد ، ولا تخضع للمصالح الشخصية والأهواء الفردية ، ومع ذلك فهو منهج مرن بما تقضيه المصلحة الشرعية ، قال تعالى :(فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ((٧٧) .

٦) أن المسئولية فيه لها جانبان : مسؤولية شخصية ، قال تعالى :(كل امرئ بما كسب رهين ((٧٨) ومسئولية جماعية ، قال تعالى :(واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ((٧٩) .

٧) أنه يترتب عليه جزاء دنيوي وأخروي ، وعقاب في الحياتين للمخالفين ، قال تعالى في جزاء الأبرار :(من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ((٨٠)، وقال سبحانه في عقاب الفجار :(... فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون ((٨١) .

٨) أن الرقابة منه رقابة إلهية ربانية ، فالرقيب على أداء هذه الأخلاق ، هو الله عز وجل ، الذي قال :(وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى ((٨٢)، وقال :(ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه ((٨٣).

٩) أنه منهج واقعي ، يمكن تطبيقه في حياة الناس ، والعمل به دون عنت أو مشقة ، ولا يطلب من البشر ما لا يطيقون قال تعالى :(لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها ((٨٤) .

١٠) أنه سهل ميسر في الجانب العملي ، غايته التخفيف ورفع الحرج عن الناس، قال تعالى :(وما جعل عليكم في الدين من حرج ((٨٥) وقال :(يريد الله أن يخفف عنكم ((٨٦) .

المبحث الثاني :

حقوق الإنسان في القرآن الكريم(٨٧)

المطلب الأول: مفهوم "حقوق الإنسان" في القرآن :

"الحقوق" : جمع "حق" وهو مصدر قولهم :(حق الشيء) : أي وجب ، مأخوذ من مادة (ح ق ق) ، وهو خلاف الباطل(٨٨)، ويطلق في اللغة على عدة معانٍ ، منها: الأمر الواجب ، والموجود الثابت ، قال الجوهري :(وحق الشيء يحق بالكسر ، أي وجب ، وأحققت الشيء ، أي أوجبته)(٨٩) .

وقال الفيومي :(الحق: خلاف الباطل ، وهو مصدر حق الشيء ، من بابي ضرب وقتل ، إذا وجب وثبت)(٩٠) .

وقال المناوي :(الحق لغة : الثابت الذي لا يسوغ إنكاره)(٩١)، وقال الراغب

:(أصل الحق: المطابقة والموافقة)(٩٢) . وهذا المعنى اللغوي -كما يظهر- يتضمن معنى الوجوب والإلزام والثبات والإحكام والصحة ، وهو قريب لموضوع البحث كما سيأتي بيانه .

ثانياً: تعريف "الحقوق" اصطلاحاً:

اختلفت عبارات العلماء والمصنفين ، وتعددت تعريفاتهم لمفهوم "الحقوق" في الاصطلاح ، فمن تلك التعريفات :

١) تعريف الجرجاني: قال :(الحق في اللغة هو الثابت الذي لا يسوغ إنكاره ، وفي اصطلاح أهل المعاني: هو الحكم المطابق للواقع . يطلق على الأقوال والعقائد والأديان والمذاهب باعتبار اشتمالها على ذلك)(٩٣) اهـ .

٢) تعريف العيسوي : قال هو :(مصلحة ثابتة للشخص على سبيل الاختصاص والاستئثار يقررها الشارع الحكيم)(٩٤) .

٣) تعريف مصطفى الزرقا : (هي مجموعة القواعد والنصوص التشريعية التي تنظم على سبيل الإلزام علائق الناس من حيث الأشخاص والأموال .

٤) تعريف آخر له : هو المطلب الذي يجب لأحد على غيره(٩٥) .

ومن خلال التعريفات السابقة يمكن استنباط أبرز ما يتضمنه مفهوم "الحقوق" اصطلاحاً ، ملخصة في الآتي:

١) النصوص الشرعية من الكتاب والسنة .

٢) القواعد والمبادئ التي تضمنتها هذه النصوص .

٣) تنظيم علاقات الناس .

٤) الوجوب والإلزام في تطبيق تلك القواعد .

ورد لفظ "الحق" في القرآن (٢٨٨) مرة(٩٦)، أطلق في بعضها على المعنى اللغوي المتعلق بموضوع البحث : (الوجوب والثبات) ، كما في قوله تعالى

:(حقاً على المحسنين ((٩٧). ونحوه .

كما أطلق على معانٍ أخر ، أشار إلى بعضها الفيروز أبادي في القاموس فقال :(الحق: من أسماء الله تعالى أو صفاته ، والقرآن ، وضد الباطل ، والأمر المقضي ، والعدل والإسلام ، والمال ، والملك ، والموجود الثابت ، والصدق ، والموت ، والحزم ، وواحد الحقوق)(٩٨) .

وذكر الراغب الأصفهاني : أن الحق في القرآن يقال على أوجه(٩٩):

١) يقال لموجِد الشيء بحسب ما تقتضيه الحكمة ، ولهذا قيل في الله تعالى : هو الحق ، قال تعالى :(ورُدّوا إلى الله مولاهم الحق ((١٠٠).

٢) يقال للشي الموجَد بحسب مقتضى الحكمة ، ولهذا يقال: فعل الله كلُّه حق ، ومنه قولنا: الموت حق ، والبعث حق ، ومنه ما جاء في قوله تعالى :(هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق ((١٠١).

٣) يطلق على الاعتقاد للشيء المطابق لما عليه ذلك الشيء في نفسه ، كقولنا: اعتقاد فلان في البعث حق ، ومثّل له بقوله تعالى :(فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق ((١٠٢).

٤) إطلاقه على القول أو الفعل الواقع بحسب ما يجب ، ويقدر ما يجب ، وفي الوقت الذي يجب ، كقولنا: فعلك حق ، وقولك حق ، ومثاله قوله تعالى

:(كذلك حقت كلمة ربك ((١٠٣).

رابعاً: مفهوم "الإنسان" في اللغة والقرآن :

قال صاحب المصباح المنير :(والإنسان من الناس : اسم جنس يقع على الذكر والأنثى والواحد والجمع ، واختلف في اشتقاقه مع اتفاقهم على زيادة النون الأخيرة ، فقال البصريون: من الأنس ، فالهمزة أصل ووزنه فعلان ، وقال الكوفيون: مشتق من النسيان ، فالهمزة زائدة ووزنه أفعان على النقص ، والأصل: إنسان على إفعلان ، ولهذا يرد إلى أصله في التصغير ، فيقال: وقال في القاموس المحيط :(الإنس: البشر ، كالإنسان)(١٠٥) .

وهذا اللفظ المفرد : (الإنسان) تكرر في القرآن (٦٥) مرة(١٠٦)، أطلق في أكثرها على عموم جنس البشر ، كقوله تعالى :(ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ((١٠٧)، وقوله :(بل الإنسان على نفسه بصيرة ((١٠٨) ونحو ذلك .

كما أطلق على أفراد بأعيانهم ، كقوله تعالى :(ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن ((١٠٩)، فقد نزلت في شأن سعد بن أبي وقاص -((١١٠)- مع أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما هو معلوم .

ومثله قوله تعالى :(أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة .. ((١١١) الآية ، فقد نزلت في شأن العاص بن وائل السهمي(١١٢) .

- وكما جاء اللفظ مفرداً :(الإنسان) ، فقد جاء مجموعاً في عدة إطلاقات ، منها :

١) الناس : وهو جمع إنسان من غير لفظه(١١٣)، وتكرر (٢٤١) مرة في القرآن(١١٤) .

٢) أناسي : وهو جمع إنسان(١١٥)، وجاء مرة واحدة في قوله تعالى :(ونسقيه مما خلقنا أنعاماً وأناسي كثيراً ((١١٦).

٣) أُناس : هو جمع لا واحد له من لفظه ، وواحده "إنسان"(١١٧)، وتكرر خمس مرات في القرآن(١١٨) .

خامساً: خلاصة معنى "حقوق الإنسان" في القرآن :

سبق ذكر عدة تعريفات للحقوق في معناها الاصطلاحي ، وتبين أن مفهوم "الحقوق" يتضمن أربعة أمور أساسية هي: النص الشرعي ، والقواعد أو المبادئ ، وتنظيم العلاقات ، والوجوب أو الإلزام .

وبتطبيق هذه الأسس على ما جاء من آيات الحقوق في القرآن الكريم ، نجد أن مفهوم "حقوق الإنسان" في القرآن ، يشتمل على هذه الأمور نفسها ، ولنأخذ مثالاً لذلك ، آيات الحقوق في آخر سورة الأنعام ، قال تعالى :(قل تعالوا أتلوا ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ؟ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلك وصاكم به لعلكم تذكرون .. ((١١٩) الآيات .

وتطبيق الأسس الأربعة على النحو الآتي :

١) النص الشرعي : وهو هذه الآيات القرآنية الجامعة .

٢) القواعد والمبادئ التي تتضمنها النصوص : فالآيات تتضمن : الإحسان إلى الوالدين ، وحق الأولاد في الحياة ، وحفظ النفس التي حرم الله ، وحفظ مال اليتيم ، والوفاء في الكيل والميزان بالقسط ، والعدل في القول ، والوفاء بالعهد . ونحوها .

٣) تنظيم علاقات الناس : فهذه القواعد والمبادئ جاءت لضبط حياة الناس في علاقة بعضهم ببعض ، فهي تنظم علاقة الفرد بوالديه وأولاده وسائر فئات المجتمع ، بل حتى مع المخالف في الدين ، فله حق الوفاء بالعهد ونحوه .

٤) الوجوب والإلزام في تطبيق هذه المبادئ : فهذه المطالب جاءت بصيغة الأمر من الله تعالى ، وهو في الأصل يقتضي الوجوب كما قرره أهل العلم(١٢٠)، إضافة إلى أن الآيات الثلاث تضمنت في خاتمة كل واحدة منها ؛ تأكيد الوجوب بقوله تعالى :(ذلكم وصاكم به (: أي أمركم به وأوجبه عليكم(١٢١) .

قال ابن كثير :(يقول تعالى : هذا أوصاكم به وأمركم به وأكد عليكم فيه)(١٢٢)، وقال ابن عطية :(و "الوصية": الأمر المؤكد المقرر) اهـ ، وكذا قال إذاً فمما سبق ذكره يمكن أن نعرّف مفهوم "حقوق الإنسان" في القرآن بأنه : مجموعة القواعد والمطالب التي جاءت بها آيات القرآن لتنظيم علاقات الناس ببعضهم ، على جهة الوجوب والإلزام .

المطلب الثاني : تأصيل "حقوق الإنسان" في القرآن الكريم :

من خلال مفهوم "حقوق الإنسان" في القرآن الذي تقدم ذكره في المطلب السابق ، يتأكد لدينا أن القرآن قد عني بهذا المبدأ عناية متميزة ، تأصيلاً لقواعده وتأكيداً على وجوبه ، وفصلت السّنّة ذلك قولاً وفعلاً وتطبيقاً . ويمكن تلخيص مظاهر هذه العناية ، وذلك التأصيل في الآتي :

أولاً: تكريم الله للإنسان :

ذلك أن "حقوق الإنسان" التي أمرنا بها ، قائمة على أن الإنسان مكرم ، لتكريم الله تعالى له ، ومنحه إياه ذلك التكريم(١٢٤). والتكريم المقصود هو : ما جعله الله له من الشرف والفضل والمحاسن(١٢٥) .

وقد ذكر أهل العلم بعض مظاهر هذا التكريم ، تعليقاً على قوله تعالى

:(ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ((١٢٦).

فقال الطبري :[(ولقد كرمنا بني آدم (: بتسليطنا إياهم على غيرهم من الخلق ، وتسخيرنا سائر الخلق لهم](١٢٧) اهـ .

وقال ابن كثير :(يخبر تعالى عن تشريفه لبني آدم وتكريمه إياهم ، في خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها ، ... وجعل له سمعاً وبصراً وفؤاداً ، يفقه بذلك كله وينتفع به ، ويفرق بين الأشياء ، ويعرف منافعها وخواصها ومضارها في الأمور الدينية والدنيوية)(١٢٨) اهـ ، إلى غير ذلك من الأقوال .

- ويتأمل الآيات الواردة في هذه المسألة ، يمكن استنباط مظاهر هذا التكريم ، ومنها:

١) أن الله اختصه بأن خلقه بيديه ، ونفخ فيه من روحه ، وسوى خلقه وأحسن صورته ، وأسجد له ملائكته ، قال تعالى :(إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين ؟

٢) منحه العقل والنطق والتمييز ، قال تعالى :(الرحمن ؟ علم القرآن ؟ خلق الإنسان ؟ علمه البيان ((١٣٠).

٣) تسخير ما في السموات والأرض له : قال تعالى :(وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه ((١٣١).

٤) حفظ الله له ورعايته إياه : قال تعالى :(إن كل نفس لما عليها حافظ ((١٣٢)، وقال :(له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ((١٣٣).

٥) تحميله الأمانة وإعطاؤه حرية الاختيار : قال تعالى :(إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً ((١٣٤).

٦) إرسال الرسل إليه لهدايته وإنقاذه : قال تعالى :(كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ((١٣٥) وقال :(لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ((١٣٦).

- إلى غير ذلك من صور التكريم التي تؤصل قضية "حقوق الإنسان" من خلال آيات القرآن(١٣٧) .

ثانياً: من تأصيل "حقوق الإنسان" في القرآن :

تلك الآيات الجامعة لأنواع من الحقوق ، والتي وردت على سبيل الإلزام والوجوب المؤكد ، منها: آيات الحقوق في آخر سورة الأنعام ، التي تقدم الكلام عنها قريباً .

- ومنها: الآيات الجامعة لجملة من الحقوق في أول سورة الإسراء ، بدءً من قوله تعالى :(وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً .. (إلى قوله

:(ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً ((١٣٨).

فإذا طبقنا الأسس الأربعة لمفهوم "حقوق الإنسان" في القرآن ، التي سبق ذكرها ، نجد أن هذه نصوص شرعية محكمة ، تضمنت عدداً من القواعد والمبادئ المنظمة لعلاقة الإنسان بغيره مثل:

- حق الوالدين (وبالوالدين إحساناً (.

- حق ذوي القربى (وآت ذا القربى حقه (، ومن حقه: صلة الرحم والإحسان إليه .

حق المساكين وابن السبيل :(والمسكين وابن السبيل (.

- حق الأولاد :(ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق (.

- حق الحياة :(ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق (.

- حق اليتيم :(ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن (.

- الوفاء بالعهد :(وأوفوا بالعهد (.

- العدل في الكيل والقسط في الميزان :(وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم (.

ثم إن هذه الحقوق والمبادئ جاءت على سبيل الوجوب والإلزام ، الذي يدل عليه :

١) قوله تعالى في أول الآيات :(وقضى ربك (. أي: حكم وأمر أمراً

جازماً(١٣٩) . قال القرطبي :(أي أمر وألزم وأوجب)(١٤٠) اهـ .

٢) صيغة الأمر الذي يقتضي الوجوب ، والنهي الذي يقتضي التحريم ، مثل :(وآت ، وأوفوا ، وزنوا ، ولا تقتلوا ، ولا تقربوا ، ...) ونحوها .

٣) التعقيب الوارد في آخر بعض الآيات : كقوله :(إن قتلهم كان خطئاً

كبيراً (، وقوله :(إن العهد كان مسئولاً (.

*** ومن الآيات الجامعة التي تؤصل بعض مبادئ "حقوق الإنسان" في القرآن : آية الحقوق من سورة النساء :(واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ((١٤١).**

- فهذا نص شرعي ، تضمن الأمر بأداء حقوق أصناف من الناس :(الوالدين وذي القربى واليتامى والمساكين والجيران والأصحاب والمسافر المنقطع وملك اليمين من العبيد والإماء) ، وهو تنظيم واضح لعلاقات الإنسان بتلك الأصناف المذكورة .

ثالثاً: ومما يؤصل مبادئ "حقوق الإنسان" في القرآن ؛ ارتباطها الوثيق بجوانب الحياة الأخرى ، كالعقيدة والعبادة والمعاملات والعلاقات الاجتماعية ونحوها ، وهذا ظاهر من الآيات السابقة التي اقترن فيها الأمر بتوحيد الله مع الأمر بحقوق العباد :(وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً .. ((١٤٢)، (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ((١٤٣).

كما أن هذه الحقوق هي واجبات شرعية ملزمة ، فهي عبادات يؤجر على فعلها ، ويحاسب على تضييعها ، وهي تنظم في مجموعها علاقات الناس ومعاملاتهم وحياتهم الاجتماعية ، فأصحاب هذه الحقوق هم فئات مختلفة من المجتمع مثل: الآباء والأمهات ، الأيتام ، الجيران ، الأبناء ، المرأة ، وهكذا .

- ومن جهة أخرى : ترتبط هذه الحقوق بالضرورات الخمس ، التي جاءت الشرائع والرسالات بحفظها ، ذلك أن مصالح الناس الدنيوية والأخروية ، إنما تكون بحفظ مقاصد الشريعة ومنها هذه الضرورات ، فهي من الدين المشترك بين الأنبياء جميعاً ، يدل على هذا قول الله تعالى :(وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين .... ((١٤٤) الآية ، وقوله :(فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً ؟ وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل ((١٤٥).

- وفي هذا دلالة واضحة على أن كافة الشرائع ، جاءت بحفظ تلك الضرورات، وهي قاعدة عظيمة لحفظ حقوق الأفراد والمجتمعات العامة والخاصة(١٤٦)، ففي حفظ الدين مثلاً ، إعطاء لحق التدين والعبادة ، وفي حفظ النفس منح لحق الإنسان في الحياة ، وفي حفظ النسل ، تأكيد لحق الإنسان في التزوج ، وحفظ المال يتضمن حق الإنسان في التملك والسعي في الأرض وممارسة أنواع المعاملات كالبيع والشراء والشراكة والتجارة ، ونحوها ، وحفظ العقل فيه حق الحرية في التفكير والتدبر ، وهكذا .

وإذا تأملنا ما تقدم من آيات الحقوق وغيرها ، نجد أنها تجمع بين مراعاة "حقوق الإنسان" وبين حفظ هذه الضرورات(١٤٧) .

رابعاً: ومما يؤصل "حقوق الإنسان" في القرآن ، كثرة الفئات التي راعى القرآن حقوقها ، إضافة إلى تعدد أنواع الحقوق(١٤٨)، وسأذكر بعض تلك الفئات وحقوقها كما وردت في القرآن :

١) ولاة الأمور : ومن حقوقهم ؛ الطاعة في المعروف ، قال تعالى :(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ((١٤٩).

٢) الأصناف التسعة الواردة ذكرهم في آية سورة النساء ، حيث قال تعالى

:(وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ((١٥٠).

٣) المستضعفون من النساء والولدان واليتامى : كما قال تعالى في شأنهم

:(ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وأن تقوموا لليتامى بالقسط ((١٥١).

٤) الطفل المولود: ومن حقه الرضاع ، قال تعالى :(والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ((١٥٢)، إضافة إلى حقه في الحياة ، قال تعالى :(قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم .. ((١٥٣) الآية ، وقال

:(ولا يقتلن أولادهن ((١٥٤).

٥) النساء : وقد نص القرآن على حقوقهن عموماً ، كما ذكر فئات منهن كالمطلقات والزوجات والأمهات وغيرهن ، قال تعالى :(وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ((١٥٥) أي: أعطوهن مهورهن عطية واجبة ، وفريضة لازمة(١٥٦)، وقال تعالى :(... وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ((١٥٧).

وهذا في حق الميراث ، وقال في شأن الزوجات :(وعاشروهن بالمعروف ((١٥٨) .

٦) الأعداء: من الكفار ومن في حكمهم ، وهم أصناف: المشركون وأهل الكتاب والمنافقون ، ومع مخالفتهم لنا ديناً وعقيدة ، فقد أعطاهم القرآن حقوقاً متعددة ، منها: الوفاء لهم بالعهود والمواثيق ، كما قال تعالى:(.. إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاؤوكم حصرت صدروهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلّطهم عليكم فلقاتلوكم فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً ((١٥٩)، فهذا نهي من الله عن قتال طائفتين : الداخلين في العهد المتمسكين به ، والمعتزلين للحرب الراغبين في عقد الصلح بينهم وبين المسلمين(١٦٠) .

وقال تعالى :(... وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق ((١٦١)، أي :(إن طلب منكم المؤمنون النصرة لهم على المشركين ، فواجب عليكم النصر ، إلا إذا استنصروكم على قوم لهم عهد وميثاق بينكم وبينهم فلا تنصروهم ولا تنقضوا العهد الذي بينكم وبين أولئك القوم حتى تنقضي مدته)(١٦٢) اهـ .

ومن حقوقهم أيضاً: البر والإحسان إلى غير المقاتلين منهم ، قال تعالى :(لا ينهاكم الله من الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ((١٦٣) . وهي آية عامة في جميع الكفرة ، قال الطبري :(عني بذلك: لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ، من جميع أصناف الملل والأديان أن تبروهم وتصلوهم ، وتقسطوا إليهم ، لأن الله عز وجل عم بقوله :(الذي لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم (جميع من كان ذلك صفته ، فلم يخصص به بعضاً دون بعض ، ولا معنى لقول من قال : ذلك منسوخ ، لأن بر المؤمن من أهل الحرب ممن بينه قرابة نسب ، أو ممن لا قرابة بينه وبينه ولا نسب ، غير محرم ولا منهي عنه ، إذا لم يكن في ذلك دلالة له ، أو لأهل الحرب على عورة لأهل الإسلام ، أو تقوية لهم بكراعٍ أو سلاح)(١٦٤) اهـ .

- إلى غير ذلك من أنواع الحقوق وأصناف الفئات ، والتي تؤكد عناية القرآن بمبدأ حقوق الإنسان .

المطلب الثالث: خصائص "حقوق الإنسان" في القرآن :

من خلال ما سبق بيانه في مفهوم "حقوق الإنسان" وتأصيله في القرآن الكريم ، يمكن أن نستشف معالم مهمة ، وخصائص مميزة ، لمبادئ "حقوق الإنسان في القرآن" ، فمن ذلك:

١) أن مصدرها الوحي المتمثل في القرآن والسنة النبوية ، فهي منحة ربانية ، أوجبها الله للإنسان ، فهي ليست من مخلوق لبشر مثله ، يمنّ بها عليه متى شاء ، أو يمنعها إذا شاء(١٦٥)، كلاّ ، بل هي فرض لازم وحق واجب ، من الخالق سبحانه لبني الإنسان . وقد أشارت الآيات إلى هذا في عدة مواضع كما تقدم في مثل قوله تعالى :(ذلكم وصاكم به ((١٦٦) وقوله :(فريضة من الله ((١٦٧) وقوله

:(وقضى ربك ((١٦٨) وغيرها .

٢) أنها تنبع من التكريم الإلهي للإنسان ، الذي أكدته النصوص القرآنية الصريحة الواضحة ، كقوله تعالى :(ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ((١٦٩)، وغيرها . ولذا فإن القيام بهذه الحقوق ، هو جزء من دين المسلم وعبوديته لله تعالى ، وأمر مستقر في فطرة الإنسان التي فطره الله عليها(١٧٠) .

٣) أنها شاملة لجميع أنواع الحقوق : الاجتماعية والمالية والسياسية والشخصية وغيرها ، كما أنها عامة لكل أصناف المجتمع ، ولجميع أفراده ، حتى المخالفين منهم ، كما تقدم ذكره آنفاً .

٤) أنها ثابتة لا تقبل الإلغاء ولا التبديل ولا التغيير ، لأنها جزء من الدين ، ولأنها فرض من رب العالمين ، الذي حفظ دينه عامة ، قال تعالى :(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ((١٧١) فهو باقٍ إلى قيام الساعة ، وهو صالح لكل زمانٍ ومكان ، بينما وثائق البشر عرضة للنقض والتعديل في كل وقت وحين .

) أنه يترتب على أدائها الجزاء والثواب ، وعلى التقصير فيها : الحساب والعقاب ، ذلك أنها واجبة ملزمة ، يؤكد ذلك بجلاء : قول النبي (:(لتؤدّن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة ، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء)(١٧٢) .

٦) أنها أحيطت بضمانات لحمايتها من الانتهاك(١٧٣)، تتلخص في :

أ) إقامة الحدود الشرعية ، التي من مقاصدها : المحافظة على حقوق الأفراد ، وحفظ الضرورات الخمس .

ب) تحقيق العدالة المطلقة التي أوجبها الله على العبادة في جميع الحالات :(إن الله يأمر بالعدل والإحسان ((١٧٤).

إلى غير ذلك من الخصائص التي تميز منهج "حقوق الإنسان" في القرآن ، وتؤكد تفرده بالصلاحية المطلقة ، والعصمة من كل خلل :(صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون ((١٧٥).